

روح المعاني

أحسن لأنه لم يحتم بل يأتي الإنسان به مختاراً غير ملزم وإذا علمت المجازاة على النفل الذي هو أحسن علمت المجازاة على الفرض الذي هو حسن ولا يخفى أنه ليس بحسن أصلاً من عمل صالح أي عملاً صالحاً أي عمل كان وهذا كما قيل شروع في تحريم كافة المؤمنين على كل عمل صالح غلب ترغيب طائفة منهم في الثبات على ما هم عليه من عمل صالح مخصوص دفعاً لتوهم الأجر الموفور بهم بعلمهم وقوله تعالى : من ذكر أو أنثى دفع لتوهم تخصيص من بالذكر لتبادرهم من ظاهر لفظ من فإنه مذكر وعاد عليه ضميره وإن شمل النوعين وضعاً على الأصح واستدل عليه بما رواه الترمذي من قوله صلى الله عليه وسلم : من جر ثوبه خيلاً لم ينظر الله تعالى إليه وقول أم سلمة : فكيف تصنع النساء بذيولهن الحديث فإن أم سلمة رضي الله تعالى عنها فهمت دخول النساء في من وأقرها على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأنهم أجمعوا على أنه لو قال : من دخل داري فهو حر فدخلها الإمام عتقن وبعضهم يستدل على ذلك أيضاً بهذه الآية إذ لولا تناوله الأنثى وضعاً لما صح أن يبين بالنوعين وفي الكشف كان الظاهر تناوله للذكر من حيث أن الإناث لا يدخلن في أكثر الأحكام والمحاورات وإن كان التناول على طريق التعميم والتغليب حاصلًا لكن لما أريد التنصيص ليكون أغبط للفريقين ونصاً في تناولهما بين بذكر النوعين أه والقول الأصح أن التناول لا يحتاج إلى التغليب وتام الكلام في ذلك في كتب الأصول وقوله تعالى : وهو مؤمن في موضع الحال من فاعل عمل وقيد به إذ لا اعتداد بأعمال الكفرة الصالحة في استحقاق الثواب إجماعاً واختلف في ترتب تخفيف العقاب عليها فقال بعضهم : لا يترتب أيضاً لقوله تعالى : وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم وقوله تعالى : وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً .

وقال الإمام : إن إفادة العمل الصالح لتخفيف العقاب غير مشروطة بالإيمان لقوله تعالى : فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره وحديث أبي طالب أنه أخف الناس عذاباً لمحبتة وحمايته النبي A وفي البحر أن قوله تعالى : فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره مخصص بهذه الآية ونحوها أو يراد بمثقال ذرة مثقال ذرة من إيمان كما جاء فيمن يخرج من النار من عصاة المؤمنين وقال الكرمانى : إن تخفيف العذاب عن أبي طالب ليس جزاء لعمله بل هو لرجاء غيره أو هو من خصائص نبينا E وقال بعضهم : الإيمان شرط لترتب التخفيف على الأعمال الصالحة إذا كانت مما يتوقف صحتها على النية التي لا تصح من كافر وليس شرطاً للترتيب عليها إذا لم تكن كذلك وسيأتي إن شاء الله تعالى تمام الكلام في هذا المقام وإيثار الجملة الإسمية لإفادة وجوب دوام الإيمان ومقارنته للعمل الصالح في ترتب قوله تعالى : فلنحيينه حياة طيبة الخ

والمراد بالحياة الطيبة الحياة التي تكون في الجنة إذ هناك حياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلك وسعادة بلا شقاوة أخرج ابن جرير وابن المنذر وغيرهما عن الحسن قال : ما تطيب الحياة لأحد إلا في الجنة وروي نحوه عن مجاهد وقتادة وابن زيد و[] تعالى رد من قال : لا طيب للعيش ما دامت منغصة لذاته بأدكار الموت والهزم وقال شريك : هي حياة تكون في البرزخ فقد جاء القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار